الباب العشرون: في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك

قال الله تعالى: ﴿ألا لعنةُ الله على الظَّالمين﴾[1] وقال تعالى: ﴿ولا تحسَبَنَّ الله غافلاً عما يعملُ الظالمون﴾[2] قيل هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم. وقال تعالى: ﴿إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سُرَادِقُها﴾[3] وقال تعالى: ﴿وسيعلمُ الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون﴾[4] وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج من الإسلام». وقال أيضاً ﷺ: «رحم الله عبداً كان لأخيه قبله مظلمة في عرض أو مال فأتاه فتحلله[5] منها قبل أن يأتي يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم». وقال أيضاً ﷺ: «من اقتطع حق امرىء مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل: يا رسول الله ولو كان شيئاً يسيراً؟ قال: ولو كان قضيباً من أراك». وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله تعالى إليّ يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتاً من بيوتي، ولا أحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة، فإني ألعنه ما دام قائماً يصلي بين يديّ حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها فأكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين في الجنة». وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إياك ودعوة المظلوم فإنما يسأل الله تعالى حقه». وعنه ﷺ أنه قال: «ما من عبد ظُلم فشخص[6] ببصره إلى السماء إلا قال الله عز وجل لبيك عبدي حقاً لأنصرنك ولو بعد حين». وعنه أيضاً أنه قال: «ألا إن الظلم ثلاثة، فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب. فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى. قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[7] وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، وأما الظلم المغفور الذي لا يطلب فظلم العبد نفسه. ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال: يا رب إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين. فنام تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين، وإذا منادٍ ينادي: حلمي على الظالمين أحلَّ المظلومين في أعلى عليين. وقيل: مَنْ سَلَبَ نعمة غيره، سلب نعمتَهُ غيرُه. وسمع مسلم بن بشار رجلاً يدعو على مَنْ ظلمه، فقال

---

(١) سورة: هود، الآية: ١٨.
(٢) سورة: إبراهيم، الآية: ٤٢.
(٣) سورة: الكهف، الآية: ٢٩.
(٤) سورة: الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(٥) تحلله: جعله في حل من التزامه.
(٦) شخص: تأمل بدهشة.
(٧) سورة: النساء، الآية: ٤٨.

له: كِلِ[١] الظالم إلى ظلمه فهو أسرعُ فيه من دعائك. ويقال: مَنْ طال عدوانه زال سلطانه. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم. ورؤي لوح في أفق السماء مكتوب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت:

فلم أرَ مثلَ العدلِ للمرءِ رافعاً ... ولم أرَ مثلَ الجَوْرِ للمرءِ واضعَا

وقال الشاعر:

كنتَ الصحيح وكنا منك في سقمٍ ... فإن سقمتَ فإنَّا السالمون غدا
دَعَتْ عليك أكفٌّ طالما ظُلمت ... ولن تردَّ يدٌ مظلومةٌ أبدا

وكان معاوية يقول: إني لأستحي أن أظلم مَنْ لا يجد عليّ ناصراً إلا الله. وقال أبو العيناء: كان لي خصوم ظَلَمَةٌ فشكوتهم إلى أحمد بن أبي دؤاد وقلت: قد تضافروا عليّ وصاروا يداً واحدة. فقال: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾[٢] فقلت له: إن لهم مكراً، فقال: ﴿**ولا يحيق المكر السيِّء إلا بأهله**﴾[٣] قلت: هم فئة كثيرة. فقال: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله**﴾[٤] وقال يوسف بن أسباط من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يُعصى الله في أرضه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه». وقال مجاهد: يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام، فيقال لهم: هل يؤذيكم هذا؟ فيقولون أي والله، فيقال لهم: هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لما كشف العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم، حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه. وقال أبو ثور بن يزيد: الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه. وقال غيره: لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لأوشك أن تخرب. وقال بعض الحكماء: اذكر عند الظلم عدل الله فيك، وعند القدرة قدرة الله عليك، لا يعجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فإن له قاتلاً لا يموت. وقال سحنون بن سعيد: كان يزيد بن حاتم يقول: ما هبت شيئاً قط هيبتي من رجل ظلمته، وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله، فيقول حسبك الله، الله بيني وبينك. وقال بلال بن مسعود: اتق الله فيمن لا ناصر له إلا بالله. وبكى علي بن الفضل يوماً فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي على مَنْ ظلمني إذا وقف غداً بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة. وروي أن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى اشتد غضبي على مَنْ ظلم مَنْ لا يجد له ناصراً غيري». ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر: يا سليمان اذكر يوم الأذان. فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل، فقال له: ما يوم الأذان؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿**فأذّنَ مؤذّنٌ بينهم أن لعنةُ الله على الظالمين**﴾[٥]. قال: فما ظلامتك؟ قال: أرض لي مكان كذا وكذا أخذها وكيلك، فكتب إلى وكيله ادفع إليه أرضه وأرضاً مع أرضه. وروي أن كسرى أنو شروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم، فضربه المعلم يوماً من غير ذنب، فأوجعه فحقد أنو شروان عليه، فلما ولي الملك قال للمعلم: ما حملك

---

(١) كِلِ: أوكله.
(٢) سورة: الفتح، الآية: ١٠.
(٣) سورة: فاطر، الآية: ٤٣.
(٤) سورة: البقرة، الآية: ٢٤٩.
(٥) سورة: الأعراف، الآية: ٤٤.

على ضربي يوم كذا وكذا ظلماً؟ فقال له: لما رأيتك ترغب في العلم، رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم. فقال أنو شروان زهِ زهِ[1]. وقال محمد بن سويد وزير المأمون:

فلا تأمَنَنَّ الدهرَ حرّاً ظلمتَهُ ... فما ليلُ حرٍّ إن ظلَمْتَ بنائمِ

وروي أن بعض الملوك رقم على بساطه:

لا تظلمن إذا ما كنتَ مقتدراً ... فالظلم مصدُرُهُ يفضي إلى الندمِ
تنامُ عيناك والمظلومُ منتبِهٌ ... يدعو عليك وعينُ الله لم تنمِ

وما أحسن ما قال الآخر:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري بما صنعَ الدعاءُ
سهامُ الليل نافذةٌ ولكن ... لها أمدٌ وللأمد[2] انقضاءُ
فيُمْسِكُها إذا ما شاء ربِّي ... ويرسِلُها إذا نفذَ القضاءُ

وقال أبو الدرداء: إياك ودمعةَ اليتيم، ودعوةَ المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام. وقال الهيثم بن فراس السامي من بني سامة بن لؤي في الفضل بن مروان:

تجبرتَ يا فضل بن مروان فاعتبر ... فقبلَك كان الفضلُ والفضلُ والفضلُ
ثلاثةُ أملاكٍ مضَوْا لسبيلهم ... أبادَهُمُ الموتُ المشتِّتُ والقتلُ

يريد الفضل بن الربيع، والفضل بن يحيى، والفضل بن سعد. ووجدت تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها:

وحقِّ الله إن الظلمَ لؤمٌ ... وإن الظلمَ مرتَعُهُ وخيمُ
إلى ديانِ يومِ الدِّين نمضي ... وعندَ الله تجتمعُ الخصومُ

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي في مصلاه رقعة مكتوب فيها:

بغى وللبغي سهام تنتظر ... أنفذ في الأحشاء من وخز الإبر
سهام أيدي القانتين[3] في السحر

قال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد أن يوليه القضاء: ما كنت لألي هذا بعدما حدثني إبراهيم. قال: وما حدثك إبراهيم؟ قال: حدثني عن علقمة عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الظَّلَمَةُ، وأعوان الظلمة، وأشياع الظلمة، حتى من برى لهم قلماً أو لاقَ[4] لهم دواة فيجمعون في تابوت

---

١) زهِ زهِ: لفظة استحسان ومديح.
٢) الأمد: الغاية.
٣) القانتون: طائعو الله.
٤) لاق: جعل في جوفها حبراً.

من حديد ثم يرمى بهم في نار جهنم». وروى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: جلس أبي للمظالم يوماً فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً، فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم أدنني إليك فإني مظلوم، وقد أعوزني العدل والانصاف. قال: ومن ظلمك؟ قال: أنت ولستُ أصل إليك، فأذكر حاجتي. قال: وما يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولاً؟ قال: يحجبني عنك هيبتك، وطول لسانك، وفصاحتك. قال: ففيم ظلمتك؟ قال: في ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصباً مني بغير ثمن، فإذا وجب عليها خراج أديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي. فوكيلك يأخذ غلتها، وأنا أؤدي خراجها، وهذا لم يسمع بمثله في المظالم. فقال له محمد: هذا قول تحتاج معه إلى بيّنة وشهود وأشياء، فقال له الرجل: أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب. قال: نعم قد أمنتك. قال: البيّنة هم الشهود، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء آخر. فما معنى قوله بيّنة وشهود وأشياء، وأي شيء هذه الأشياء، إن هي إلا الجور وعدولك عن العدل. فضحك محمد وقال: صدقت والبلاء موكل بالمنطق، وإني لأرى فيك مصطنعاً[1]، ثم وقع له بردّ ضيعته، وأن يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيَّره من أصحابه، فكان قبل أن يتوصل إلى الانصاف وإعادة ضيعته له يقال له: يا فلان كيف الناس فيقول: بشر بين مظلوم لا ينصر وظالم لا ينتصر. فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك وردّ عليه ضيعته وأنصفه قال له ليلة: كيف الناس الآن؟ قال: بخير قد اعتمدت معهم الإنصاف ورفعت عنهم الاجحاف، ورددت عليهم الغصوب، وكشفت عنهم الكروب وأنا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب، والفوز بكل مطلوب.

ومما نقل في الآثار الإسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلاً من ضعفاء بني إسرائيل كان له عائلة، وكان صياداً يصطاد السمك ويقوّت منه أطفاله وزوجته. فخرج يوماً للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها، ثم أخذها ومضى إلى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله. فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فمنعه الصياد، فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصباً بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال: إلهي جعلتني ضعيفاً، وجعلته قوياً عنيفاً، فخذْ لي بحقي منه عاجلاً، فقد ظلمني ولا صبر لي إلى الآخرة.

ثم إن ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله وسلمها إلى زوجته وأمرها أن تشويها، فلما شوتها قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزته في أصبع يده نكزة طار بها عقله، وصار لا يقربها قراره. فقام وشكا إلى الطبيب ألم يده وما حل بها فلما رآها قال له: إن دواؤها أن تقطع الأصبع لئلا يسري الألم إلى بقية الكف. فقطع اصبعه فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد، وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه. فقال له الطبيب: ينبغي أن تقطع اليد إلى المعصم لئلا يسري الألم إلى الساعد فقطعها، فانتقل الألم إلى الساعد، فما زال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى العضو الآخر الذي يليه، حتى خرج هائماً مستغيثاً إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به. فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى في منامه قائلاً يقول: يا مسكين إلى كم تقطع أعضاءك، امض إلى خصمك الذي ظلمته فارضه. فانتبه من النوم وفكّر في أمر فعلم أن الذي أصابه من جهة الصياد، فدخل المدينة وسأل عن الصياد وأتى إليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الإقالة مما جناه، ودفع إليه شيئاً من

(١) مصطنع: مكان للصنيعة وأهل لها.

ماله وتاب من فعله فرضي عنه خصمه الصياد فسكن في الحال ألمه. وبات تلك الليلة، فرد الله تعالى عليه يده كما كانت. ونزل الوحي على موسى عليه السلام: يا موسى وعزتي وجلالي لولا أن ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته.

ومما تضمنته أخبار الأخيار: ما رواه أنس رضي الله عنه قال: بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قاعد إذا جاءه رجل من أهل مصر فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ[1] بك. فقال عمر رضي الله عنه: لقد عذت بمجير فما شأنك، فقال: سابقت بفرسي ابناً لعمرو بن العاص وهو يومئذٍ أمير على مصر فجعل يقنعني بسوطه ويقول: أنا ابن الأكرمين، فبلغ ذلك عمراً أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانفلتُ منه فهذا الحين أتيتك. فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان. وقال للمصري: أقم حتى يأتيك. فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه قام المصري فرمى إليه عمر رضي الله عنه بالدّرة. قال أنس رضي الله عنه: فلقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين: قال: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت. قال: ضعها على ضلع عمرو. فقال: يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني: قال: أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنتزع. ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. فجعل عمرو يعتذر إليه ويقول: إني لم أشعر بهذا.

وقيل لما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غد. فكتبت رقعة وقفت بها في طريقه وقالت: يا أحمد، يا بن طولون: فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة وقرأها، فإذا فيها: ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخوّلتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم. هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها. فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنّا إلى الله مستجيرون، واظلموا فإنا بالله متظلمون، **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**[2]. قال: فعدل لوقته.

وحكي أن الحجاج حبس رجلاً في حبسه ظلماً فكتب إليه رقعة فيها: قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد القيامة، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلى بيّنة وكتب في آخرها.

ستعلمُ يا نؤومُ إذا التقينا ... غداً عندَ الإلٰهِ مَنِ الظلومُ
أما والله إن الظلمَ لؤمٌ ... وما زال الظلومُ هو الملومُ
سينقطع التلذُّذُ[3] عن أناسٍ ... أداموه وينقطعُ النعيمُ
إلى ديّانِ يومِ الدِّين نمضي ... وعندَ الله تجتمعُ الخصومُ

(١) العائذ: المستجير.
(٢) سورة: الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(٣) التلذُّذ: التمتع باللذائذ.

وحكى أبو محمد الحسين بن محمد الصالحي قال: كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار، فنام بعد أن أكل، فانتبه منزعجاً وقال: يا خدم. فأسرعنا الجواب فقال: ويلكم أعينوني والحقوا بالشط بأول ملاح ترونه منحدراً في سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتوني به، ووكلوا السفينة مَنْ يحفظها. فأسرعنا فوجدنا ملاحاً في سفينة فارغة فقبضنا عليه، ووكلنا بها مَنْ يحفظها، وصعدنا به إلى المعتضد. فلما رآه الملاح كاد يتلف، فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال: أصدقني يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم، وإلا ضربت عنقك، فتلعثم وقال: نعم كنت سحراً في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها، عليها ثياب فاخرة، وحليّ كثيرة، وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وأغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها، ثم طرحتها في الماء، ولم أجسر على حَمْل سلبها إلى داري لئلا يفشوا الخبر عليّ فعوّلت على الهرب والانحدار إلى واسط. فصبرت إلى أن خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين وأخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني إليك. فقال: وأين الحليّ والسلب؟ قال: في صدر السفينة تحت البواري. قال المعتضد: عليّ به الساعة فحضروا به فأمر بتغريق الملاح، ثم أمر أن ينادي ببغداد من خرجت له أمرأة إلى المشرعة الفلانية سحراً، وعليها ثياب فاخرة، وحليّ فليحضر. فحضر في اليوم الثاني ثلاثة من أهلها وأعطوا صفتها، وصفة ما كان عليها فسلم ذلك إليهم. قال: فقلت: يا مولاي مَنْ أعلمك، أو أوحى إليك بهذه الحالة، وأمر هذه الصبيّة؟ فقال: بل رأيت في منامي رجلاً شيخاً أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي: يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره[1] على المرأة التي قتلها اليوم ظلماً، وسلبها ثيابها، وأقم عليها الحد ولا يفتك، فكان ما شاهدتم.

فيتعين على كل ولي أمر أن يعدل في الأحكام، وأن يتبصر في رعيته، وعلى كل عاقل أن يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله في السر والعلانية ويعلم أن الله يجازي على الخير والشر... ويعاقب الظالم على ظلمه، وينتصر للمظلوم، ويأخذ له حقه ممن ظلمه، وإذا أخذ الظالم لم يفلته. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) قرره: جعله يعترف.